لم تؤد بنا إلى حب جارية مملوكة .

فهززت رأسي وأعدت نفس السؤال : ولكنها ملك يمينك ؟

فقال : هذا صحيح . إن جسمها ملكي ولكن روحها ليست ملكاً لي. إنني لا أبغي منها ذلك الجسد ولا متعة الشهوة وحدها . بل أريد أن تبادلني حباً بحب وإخلاصاً باخلاص .

وراحت الدموع تنحدر من عينيه وتسيل فوق خديه ، ورمقته بنظرة فيها كل معاني الشفقة والرثاء لحاله ، فهو والد وله أطفال وزوجتان أخشى عليهم جميعاً عاقبة هذا الحب الجديد .

وأعقب ذلك صمت طويل ، تذكرت في خلاله مواقف الحب وسلطانها على النفوس ، ثم رأيت أن أغادر الدار فودعت مضيفي وسرت اجتاز شوارع مكة الضيقة ، حتى وصلت إلى الميدان العام وكانت تخترقه قافلة يحدو أصحابها بغناء شجي مطلعه :

من ذا (يلمي) إن بكيت صبابة الدمع دمعي والعيون عيوني

عبد الكريم جرمانوس

موانع الابتكار في أدبنا الحديث

للأستاذ محمد يونس

إنه ليسعدنا حقاً أن يكون قريباً ذلك اليوم الذي نشعر فيه من جمهرة كتابنا أنهم أملوا الابتكار محل المحاكاة وأبدعوا فيما يكتبون ابداعاً فيه غناء وإغناء للأدب العالمي العام

الدكتور منصور فهمي مجلة المصرية

كان حديث الدكتور منصور فهمي في مجلة المصرية ذا شجون ، فقد تناول فيه الأدب العربي الحديث والأدباء بالنقد اللاذع ، وصورهم بصورة المقلد المفتون ، وعراهم من أردية المجد التي اكتسوها بعد الكفاح الطويل

وأنا وإن كنت إلى حد ما أؤيد الدكتور في أن أدبنا الحالي أدب تقليد ومحاكاة لا أدب ابتكار وإبداع . فإني أخالفه في تحديد أدب المحاكاة عندنا وفي قيمة هذا الأدب ، ثم لا ألقي اللوم كله على الأدباء أنفسهم ، لأن الدوافع إلى المحاكاة كما سيرى القارىء قريباً أقوى من أن يغلبها الكاتب اللبيب

كان كلام الدكتور عن الأدب عاماً شاملا كل أنواعه ، ولكن من الظلم ونحن نلصق طابع التقليد على أدبنا الحديث أن نغفل طائفة خاصة من الكتاب برعت في الابتكار وأعنى بها كتاب المقالة . فالمقالة خطت في الأدب العربي الحديث خطوات واسعة وأصبحت تتحدث في موضوعاتها الخاصة وأهدافها القريبة حديثاً وصل حد الابتداع عند كثير من الكتاب وها هي ذي المقالة العربية في مصر لا تقل عنها في البلدان الغربية إن هذه المقالات التي تقدمها إليك الصحف والمجلات تحركك معها إلى حيث تريد من حيث لا تريده أنت ، وتفهمك مطالبها بكل وضوح ، هي فخر الأدب الحديث . وكثيرون لدينا برعوا في حيل الاقناع وفي مفاجأة القارىء واللعب به وبكل ما يجعل للمقالة العربية مجدها وشخصيتها . إلى هنا يقف أدباؤنا عن الابتكار ، وما بقي من أنواع الأدب العربي أكثره خلو من الابتكار ، ولكن خلوه من الابتكار لا يعني فقره في الاجادة ودقة الانتاج ، فأدب المحاكاة أدب قائم بذاته له قيمته وفائدته ، وله - وهذا ما نريد الاشارة إليه في هذا المقال - أوانه ، ولابد للأدب كما للمجتمعات البشرية من المرور في أدوار تاريخية مختلفة يتبع فيها سنة التطور ومنطق التدرج وهو قانون ثابت لا تفيد معه ثورة الأديب ، ولا ألقاب الابتكار والتجديد التي تمنح له بغير حساب

وهذا الدور في الأدب العربي ، دور محاكاة ونقل تتجه فيه العبقرية راضية أو غير راضية إلى النقل عن أدب الغرب أو إحياء ما اندرس من أدب العرب ، وهو تيار جارف لا يقف أمامه كاتب مهما كبر ، ولذلك فشلت محاولات الابتكار عند كبار أدبائنا . هذه محاولات شتى قام بها كثيرون منهم في السنوات الأخيرة وأرادوا أن يظهروا بها الابتكار والابداع . ليقرأها القارىء جيداً وليحكم عليها من غير مداجاة ، ألا يرى عليها الهزال والشحوب ؟ فيدرك أن هذه الجهود المبتورة

لاتناسب اسم اولئك الكتاب وما لهم من مجد عظيم نالوه عن طريق النقل .

وما يقال عن النثر يقال عن الشعر أيضاً . ولقد أدرك شوقى — رحمه الله — فى أواخر أيامه أن خير ما يختم به إنتاجه قصص شعرية ، عجز عن أن يستمدها من المحيط الذى يعيش فيه فرجع إلى كليوباتره فى التاريخ المصرى ومجنون ليلى فى التاريخ العربى ، وكأن الحياة الدارجة ما استطاعت أن تلهم الشاعر الموهوب موضوعاً لرواية قوية تقترن بحياة هذا الجيل

ولا عيب على هؤلاء الأدباء أن ينجحوا فى دور الناقل ويخفقوا فى دور المبتكر ، ولا ينقص من قيمة جهدهم أن يبرز فى النقل وحده ، فالأدب المنقول يؤدى واجباً كبيراً فى خدمة الأمة العربية ويشغل حلقة لابد منها للوصل بين الماضى والمستقبل ، هى قسمة لابد منها وتوزيع لنوع الانتاج بين أدباء المستقبل وأدباء اليوم الذين كان من حظهم أن يأتوا فى فى هذا العهد ، عهد النقل فلا يسطع نجمهم إلا فيه ولا يذهب تقيدهم به سناء عبقريتهم

وهنا من حق القارىء أن يسألنى : لماذا يعجز أدباؤنا عن الابتكار ؟ أهو كل منهم كما يقول الأستاذ المازنى وفيهم النشاط الجم . أم فقر فى المواهب . وفيهم العبقرى الموهوب أم فقر فى المحيط وهو عامر بشتى الصور والمفاجآت ؟

وقد ثار مثل هذا التساؤل من حين قصير بين أدباء الانكليز وتناول ناقدان كبيران البحث عن أسباب جمود الأدب الانكليزى الحديث (ولاسيما فى ناحية القصة التى تجتاح أكثر ميادين الأدب الغربى) وتأخره عن الأدب الامريكى الذى أصبح يخطو خطوات واسعة وينتج آثاراً مدهشة .

قال أولهم : إن الابتكار — وليدما أسماه شعوراً بالاستغراب يأخذ على الكاتب أنفاسه ويدفعه فى مجالى الابداع ، ومتى عجز المحيط عن إثارة مثل هذا الشعور فى الكاتب إما لكثرة الصور السابقة المرسومة عنه أو لفقره خلا جو الأدب من المبتكرين

وقال الثانى : إن الاديب يبتكر يوم يثق بمحيطه ويؤمن به ، ويعجز عن الابتكار اذا فقد هذه الثقة فلا يثير فيه العناية بدرسه وتصويره بلونه الخاص

وإنى أرى أن المانع من الابتكار فى الأدب العربى ، مزيج من السببين .

ولقد يبدو غريباً لأول وهلة أن تكون الحالة واحدة فى المحيط الانكليزى الذى كثرت الصور عنه وفى المحيط العربى الحديث الذى لم ترسم له صورة صحيحة باهرة إلى الآن ، ولكن هذا نتيجة فقدان الشعور بالاستغراب ، أما فى الأول فأحسب القارىء قد فهم سببه وهو كثرة الصور الباهرة التى رسمها لهذا المحيط أكابر الكتاب فلم تترك مجالا للمزيد ؛ وأما فى الثانى فلأن هذا المحيط لا يمكن أن يثير الكاتب إلى الاهتمام به ما دام فكره مشدوهاً بأنوار أخرى بديعة تأتيه من بعيد .

أرجو أن يتصور القارىء نفسه مكان الاديب العربى اليوم : فهو إذا كان مجدداً لا يزال مسحوراً بصور الأدب الغربى العامرة وما فيها من عبقرية ونبوغ ؛ وإذا كان من دعاة القديم فلا يزال مفتوناً بالصنعة الباهرة وقوة الاندفاع والحيوية التى يشهدها عند الجاحظ أو المتنبى مثلا . إن هذه الصور تأخذ بلبه فتشغله عن المحيط الذى هو فيه وهو لا يزال محدقاً بها غير ملتفت إلى ما حوله ما دامت أضواؤها الخلابة تبهر عينيه . وإنى لأشعر أن هذا الكاتب المنصف لنفسه ولقارئه إذا حاول رسم صورة لشخص من الذين حوله يقعده عن المحاولة ما يراه من تصوير باهر لأساتذة كبار كموباسان ودكنز . فيقول فى نفسه : خير أن أنقل هذه الصور الغريبة للناس من أن أقحمهم على مجازفاتى فى التصوير . ويقعد عن الابتكار .

ومثله هنا مثل العاقل لا يشعل سراجه ما دامت الشمس طالعة ، فهو يكتفى بفتح باب النافذة فتضىء أشعتها المكان وليس فى هذا عيب على كهرباء البيت ولا انتقاص لمخترعها العظيم .

ولن يشعل صاحبنا العاقل كهرباءه إلا ساعة تغيب الشمس وهى هنا فى الأدب الساعة التى تذهب فيها دهشة الأديب من منتجات الأدب الغربى أو العربى القديم .

وهنا يدخل السبب الآخر الذى ذهب اليه الناقد الانكليزى الثانى ، فان انبهار الأديب العربى بصور الأدب الغربى أو العربى القديم يبهت أمامه صور محيطه ويضعف ثقته فيه ، فلا يزال هذا المحيط متردداً بين الغرب والشرق وبين الجديد والقديم وبين التقليد والرجعية وقد فقد شخصيته المستقلة القديمة التى تثير الكاتب إلى التغنى بامجادها ، ولم يكتسب الشخصية الجديدة التى تثيره إلى الاشادة بقوتها ، ولذلك كان طبيعياً أن يذهب الكتاب والشعراء الى المحيطين البعيدين ، الغربى والعربى القديم ، لأن شخصيتيهما أقوى وأتم .

وأظن القارىء أدرك الآن لماذا اندفع شعراء العصر الأول من الاسلام فى الابتكار فى الشعر لأن المحيط الجديد الذى خرج اليه العرب من الجزيرة كان عامراً مدهشاً وهكذا ذهب أبو نواس المشدوه بالمحيط الجديد يفاخر به ويتهكم على شعراء الجاهلية ، أما ابن المعتز الذى الف حياة النعيم الجديد إلى حد ما ، فكانت أحسن نفحاته هى التى يستمد وحيها من الصحراء ومعانيها التى أصبحت غريبة عنه تثير استغرابه أكثر مما حوله ، وان كانت نضارة هذا المحيط الباقية حافزة له على عدم التخلى عنه تماماً كما صنع الذين جاءوا بعده ممن ذبلت أمامهم زهرة المحيط الجديد وعاشوا فى العهد المتأخر فرجعوا إلى تراث الجاهلية يقلدونه تقليداً فاضحا لأن هذا الشعر الجاهلى أقوى شخصية وأسطع نوراً من أى شعر جاء بعده

ونعود إلى أدبائنا اليوم ، فهم مهما غالوا فى المكابرة لا يستطيعون إنكار زهدهم واستخفافهم بهذا المحيط الباهت الألوان الفقير إلى الأمجاد الباهرة ، ولذلك فهم لن يبتكروا إلا يوم يؤمنون به ، ولا يؤمنون به إلا متى ذهب أثر الدهشة التى يحدثها الأدب الغربى الجديد أو العربى القديم فى أذهانهم ، على أن ترافق هذا زيادة فى سطوع المحيط .

هذه هى موانع الابتكار وهى قوية لا يستطيع الكاتب مهما كانت عبقريته التخلص منها

خير لأدباء هذا الجيل أن يكتفوا بأدب النقل ويجودوا فيه ويهيئوا المجال للجيل القادم فان مجدهم لن يقوم إلا على النقل وهو مجد له خلوده .

(نزيل القاهرة) محمد يونس

نقل الأديب

للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبى

١٠٢ — فيه غيره . . .

ابن الشبل البغدادى :

وكأنما الانسان فيه غيره ... متكوناً والحسن فيه معار
متصرف وله القضاء مصرف ... ومكلف وكأنه مختار
طوراً تصوّبه الحظوظ وتارة ... خطأ تحيل صوابه الأقدار[1]
تعمى بصيرته ويبصر بعد ما ... لا يسترد الفائت استبصار[2]
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ... ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ... ندماً إذا لعبت به الأفكار
لا يعرف الافراط فى إيراده ... حتى يبينه له الإصدار

١٠٣ — لم تبلغ قدرتى هذا كله

حدث المبرد : قال رجل لثمامة (القدرى المعتزلى) : أنت إن شئت قضى فلان حاجتى

فقال ثمامة : أنا قدرى ، ولم تبلغ قدرتى هذا كله ؛ انما قلتُ : (إن شئتُ فعلتُ)[3] ولم أقل : إن شئتُ فعل فلان

١٠٤ — جد الأديب جد وهزله هزل

قال خالد بن يزيد الكاتب : لما بويع ابراهيم بن المهدى طلبنى ، وقد كان يعرفنى وكنت متصلا ببعض أسبابه[4] . فقال : ياخالد ، أنشدنى من شعرك

---

(١) تحيل صوابه : تجعل صوابه خطأ

(٢) استبصر الشىء : استبانه ، وفيه : تأمل

(٣) فى شرح المقاصد : « اتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الزيغ . . . على أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم ، واجترأ المتأخرون فسموا العبد خالقاً على الحقيقة »

والجبرية تخالف القدرية فى مقالتها . فى (التعريفات) : الجبرية من الجبر وهو إسناد فعل العبد إلى الله والجبرية اثنان : متوسطة تثبت للعبد كسبا فى الفعل كالأشعرية ، وخالصة لاتثبت كالجهمية أصحاب جهم بن صفوان

(٤) أسبابه : رجاله (حاشيته)